

دور وسائل التواصل الاجتماعي في تنامي ظاهرة الاغتراب
النفسي لدى الشباب الجزائري

**Role of social media in the growth of
psychological alienation among Algerian
youth.**

أ. سامية مادة: جامعة الجزائر 2-أبو القاسم سعد الله –
samia.mada@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 2025/06/02	تاريخ القبول: 2028/03/28	تاريخ الإرسال: 2025/03/23
----------------------------	-----------------------------	------------------------------

الملخص:

لطالما كانت الأسرة أساس المجتمع و نواته الأولى، حيث تتكون أغلب شخصيته فيها، و يتشبع ببعض المبادئ و الإيديولوجيات داخلها، ولأن تماسك العائلة هو دليل على تماسك المجتمع ، فإنها تتأثر أيضا بالمستجدات التي تحدث فيه ، ويتفاعل أفرادها معها تفاعلا كبيرا، ومن بين المستجدات التي طرأت على المجتمعات اكتساح الثورة التكنولوجية وعلى رأسها وسائل التواصل الاجتماعي للمجتمع بكل فئاته، وتلاعبها بإعداداته و قواعده، بل وأصبحت تصنع الرأي العام و تغيره أيضا، هذا ما جعل الشباب على وجه الخصوص يتأثرون بشدة بكل ما يحدث في هذا العالم الرقمي لكونهم الفئة الأكثر اقبالا على التكنولوجيا وأكثر استعمالا لها ، فأصبحوا يحلمون بعالم شبيه بما يرونه من حياة الرفاهية و البذخ و السهولة التي يعرضها العالم الرقمي و يتشبعون بثقافات تختلف عن الثقافة المحلية التي ينتمون إليها، إذ أصبحت الهوية المحلية في مواجهة مباشرة مع العولمة بكل مؤسساتها ووسائلها التي تستعملها لإخضاع الشعوب، و منه نشأ لدى الشباب ما يعرف بالاغتراب النفسي

و هو العيش في صراع بين الفرد و بين بيئته، فيشعر بعدم الانتماء لها، ويصاحب ذلك رغبة في الهروب من الأوضاع السائدة، ما يخلق لديه مشاعر سلبية تجاه ذواته من جهة والمحيطين به من جهة أخرى، هذا الاغتراب الذي خلق فجوة كبيرة بين أبناء اليوم ومجتمعهم وجعلهم يشعرون بالوحدة وأن لا أحد يشعر بمعاناتهم، و وسع من هوة العلاقة مع جيل الآباء وجعل تماسك العائلة والمجتمع ككل في خطر. والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الشرقية تأثر بالموجة التكنولوجية التي يشهدها عالم الألفية الثالثة و هذا يظهر جليا في سلوكات شبابه وتغير نمط العيش والتفكير لديهم من خلال محاولة فرضهم واقعا جديدا يخالف في كثير من الأحيان هوية مجتمعهم المحلية وعاداته وتقاليده، فأصبح الشاب الجزائري يعيش اغترابا نفسيا يقوده في كثير من الأحيان إلى القيام بسلوكات غير صحية وخطيرة على حياته ليترجم بها شعوره بالاغتراب كالهجرة غير الشرعية أو ما يعرف محليا بظاهرة الحراقة، ومن أجل معالجة هذه الظاهرة الخطيرة ارتتبنا المشاركة في الملتقى الدولي الموسوم بعلم النفس الاجتماعي في الجزائر وقضايا الشباب الراهنة بمداخلة معنونه بدور وسائل التواصل الاجتماعي في تنامي ظاهرة الاغتراب النفسي لدى الشباب الجزائري، حيث سنتطرق لعدة نقاط أهمها:

- مفهوم الاغتراب النفسي لدى الشباب.
- وسائل التواصل الاجتماعي وعلاقتها بالاغتراب النفسي.
- ظاهرة الهجرة غير الشرعية كمظهر هام من مظاهر الاغتراب النفسي لدى الشباب الجزائري.
- الكلمات المفتاحية:** اغتراب نفسي، تكنولوجيا، مجتمع، العولمة الثقافية.

مقدمة:

تتغير الحياة الاجتماعية للإنسان باستمرار وذلك نظرا للظروف المحيطة به والمستجدات التي تطرأ عليه سواء على الصعيد النفسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، وفي تغيرها هذا تحمل معها واقعا جديدا يتحتم عليه تقبله والتعامل معه، ومع مرور الوقت يألف الإنسان هذا

الواقع فيحدث توافق بينه وبين بيئته الجديدة وظروفه، وفي حالات أخرى لا يتقبل الفرد هذا الواقع فيعيش تحت ضغط نفسي رهيب ينجم عنه نفور تام من التعامل معه أو مع بيئته وقد يصل به الأمر الى عدم تقبل ذاته أو واقعه مما يجعله يعيش اغترابا نفسيا يؤثر بشكل مباشر على تصرفاته وسلوكياته.

إن الواقع الجديد الذي فرضته العولمة بكل مؤسساتها جعلت الإنسان في تسابق مع الزمن لأجل ركوب موجة التغيير، ولقد لعبت الشبكة العنكبوتية دورا كبيرا في ترسيخ نمط معين من الحياة، فليس سرا إذا قلنا بأن سر التطور الذي تشهده البشرية منذ منتصف القرن العشرين إلى يومنا هذا راجع للتطور الذي شهدته تقنية الاتصالات بمختلف فروعها، فثورة التكنولوجيا قد ساهمت بشكل كبير جدا في تغير نمط عيش الشعوب وتطور الاقتصاد وطريقة تفكير الأفراد كما انتعش ميدان الإعلام انتعاشا لم يسبق له مثيل فتطورت وسائل الاتصال والتواصل وحولت العالم لقرية صغيرة حيث أصبح يعرف بالقرية الكونية، فالعولمة جعلت من الإعلام وشبكات الاتصال ووسائل التواصل سلاحا خفيا وخطيرا وجهت به أنظار الشباب إلى الثقافة الغربية والسياسة الغربية ونمط العيش الغربي والحرية الغربية والأفكار التحررية الغربية والتطور التكنولوجي الغربي ورفي الحياة اليومية الغربية، فالتطورات المذهلة للتقنية التكنولوجية ووسائل الإعلام والاتصالات ووسائل التواصل أدت إلى تدفق هائل للأفكار والعادات القيم والمعلومات المغلفة في طابع مشوق يخفي حقيقتها وأهدافها وهو مبرمج في اتجاه واحد من الشمال إلى الجنوب أو من الغرب نحو الشرق في خطة ممنهجة لاحتلال العقول قبل الأوطان، ونشر ثقافة هجينة متناقضة والثقافة المحلية.

ولأن الشباب هم أكثر فئة تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي فإنها بالمقابل أكبر فئة تتأثر بالواقع الافتراضي الذي يبيت على هذه الوسائل من حيث المحتوى أو الصورة أو نمط الحياة المروج له خاصة إذا كان هؤلاء الشباب من بيئة مختلفة عن البيئة الغربية، تختلف ثقافتها المحلية عن الثقافة الغربية، ويختلف نمط العيش ومستوى الحياة فيها بسبب

طبيعة الحياة في البيئة المحلية لهؤلاء الشباب، ولأن الثقافة الشرقية عموما والعربية خصوصا تتحكم فيها قيود عدة متمثلة في العادات و التقليد والدين و القوانين الصارمة التي تراعي بشدة هذه القيود فإن الشباب العربي يجد صعوبة كبرى في تقبل التناقض الذي يعيشه بين ما يراه من صورة براقة تعكس توهج الثقافة و الحياة الغربية من جهة وما يعيشه من واقع محلي مختلف بل ومتناقض من جهة أخرى .

والشباب الجزائري كغيره من شباب المجتمعات العربية ، سقط بعضه في فخ الصورة المسوقة للثقافة الغربية وحياة الرفاهية التي تُصدر للعالم على شكل ثقافة معلبة جاهزة للاستهلاك والتقمص تساعد في ذلك ترسانة إعلامية وتكنولوجية عالية الدقة، والهدف من كل هذا اختراق النسيج المجتمعي للثقافات والمجتمعات المحلية من أجل السيطرة عليها و التحكم في مقدراتها و عقول أبنائها تمهيدا للتحكم التام فيها و إخضاعها لها ، ونظرا لهته التدفقات الهائلة للصور والمعلومات والخوارزميات الموجهة لبرمجة العقول فإن هته الأخيرة ستسقط في ما يسمى بالاغتراب النفسي الذي يتشكل نتيجة للتناقضات التي يعيشها الشاب بين ما يريده في مخيلته و ما يعيشه فعليا، بين ما يراه من حياة الحرية و الرفاهية والتحرر و تطبيق القانون و بين ما يعيشه من نقيص ذلك في بيئته المحلية .

هذا الأمر يقودنا للتساؤل عن معنى الاغتراب النفسي لدى الشباب وطبيعة العلاقة التي تربط هذا الاغتراب بوسائل التواصل الاجتماعي، وسنخرج للحديث عن إحدى نتائج هذا الاغتراب وهي الهجرة غير الشرعية التي يرمي الشباب فيها نفسه في قوارب الموت أملا في ضفة أخرى تحقق أحلامه التي لم يستطع تحقيقها في بيئته المحلية.

1- مفهوم الاغتراب النفسي لدى الشباب :

إن التناقض الذي يعيش فيه الفرد نتيجة تواجده في بيئة محلية مرفوضة من طرفه مقابل بيئة غربية تم رسمها في مخيلته عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي يسبب له حالة من الفوضى في التفكير والشعور تجعله يشعر بفقدانه للشغف وفقدانه لإرادة العمل وتغيير أوضاعه سواء

الاقتصادية أو الاجتماعية ، بل ويتفاقم الأمر ليصل لحالة الانفعالية ، حيث يشعر الشاب عموماً بعدم فائدته وسط مجتمعه وأن هذا الأخير يحارب قدراته و طموحاته ويقف عائقاً دون تحقيق أهدافه ، وهذا الشعور يعرف بالاغتراب النفسي والذي يعني احساس الفرد بالعزلة وعدم الانتماء لمحيطه الصغير أو لمجتمعه ككل، وفقدان الثقة في الذات وفي الآخر، ورفض المعايير الاجتماعية التي تتحكم في الوعي الجمعي لبيئته، وكذا المعاناة من الضغوط النفسية، وتعرض وحدة الشخصية للضعف والانهيار وهذا من خلال التأثير بالعمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع .

هذا وقد عرفه إيريك فروم و الذي يعتبر من الباحثين الأوائل الذين درسوا هذا الموضوع بأنه ما يعانيه الفرد من خبرة الانفصال عن وجوده الإنساني وعن المجتمع وعن أفعاله اللاإرادية و الانفعالية (شخت ريتشارد ، 1980) بمعنى أن الاغتراب يتمثل في شكل من أشكال الخبرة يمارسها الإنسان و يشعر فيها بأنه فرد غريب عن ذاته، ولا يجد نفسه كمرکز لعالمه الخاص ولا يتحكم في أفعاله ، بل يتطور الأمر لتصبح أفعاله و رادات فعله هي المتحكم فيه .(سعد المغربي، 1993، ص25)

في حين يراه البعض حالة نفسية يشعر الإنسان من خلالها بانفصاله عن الآخرين وعدم الانسجام معهم، كما يعرف الاغتراب النفسي بكونه اغتراب عن الذات أيضاً، والذي يرتبط ارتباطاً موجباً بالاغتراب عن المجتمع.

ولقد ركز الباحثون على الحالة النفسية للإنسان ودور المجتمع في شعوره بهذه الحالة (خليفة 2003)، فالاغتراب النفسي مفهوم شامل وعام يشير الى الحالات التي يتعرض فيها الشخص للضعف والانهيار وهذا نظراً لتعرضه لتأثير التفاعلات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع والتي يرفضها لكنه مجبر على التعايش معها نظراً لعدم توفر البديل، أما البعض الآخر فيعزو سبب الاغتراب النفسي إلى فقدان الإنسان لروابطه الأولية ويقصد بهذه الروابط علاقته بمجتمعه المحلي من أقارب وأصدقاء. (الصنعاني 2009)

ولقد قدم عديد الباحثين وعلماء النفس تفسيرات وتحليلات لظاهرة الاغتراب النفسي، حيث أرجعها سيغموند فرويد إلى اغتراب الأنا عن الهو، بمعنى أن الاغتراب سمة متأصلة في الذات وفي حياة الإنسان، ويقول فرويد في تفسيره دائماً لمفهوم الاغتراب بأنه ينتج أساساً من حاجات الحضارة ومتطلباتها، حيث أن متطلبات البناء الاجتماعي تناقض جوهر الذات الذي يزداد خطورة وهذا نتيجة لقوة الوجود الطبقي المسيطر.

وهو يعيد دائماً الحالات النفسية إلى الشعور واللاشعور، حيث يرى أن اغتراب الشعور يعني كبت الخبرات لتقليل الألم الناتج عنها، حيث أن تذكرها يسبب ألماً ويجعل الفرد يعيش حالة شعورية صعبة نتيجة المقاومة التي تجول دون ظهور هذه الخبرات، وبالتالي هذه المقاومة هي مظهر من مظاهر الاغتراب النفسي، وعليه فهذه الخبرات وال رغبات المكبوتة تبدأ رحلة جديدة وشاذة في اللاشعور وهي محتقظة بحركيتها وتظل تبحث دوماً عن مخرج لتحقيقها، ومادامت عوامل الكبت والصد قائمة فسيظل الاغتراب قائماً، فما هو في النهاية إلا تلك المحاولات التي يقوم بها الأنا للتوفيق بين ضغط الواقع ومتطلبات الهو (عبد المنعم، ص 18)

أما إيريك فروم فيعتبر الاغتراب نمطاً من التجربة يعيش فيه الإنسان كفرد غريب، حيث يصبح غريباً حتى عن نفسه، أي أنه لا يشعر بأنه مركز لعالمه وكخالق لأفعاله وهذا ما يقوده للانفصال عن واقعه والعالم الطبيعي المحيط به، فالشخص المغترب بحسب إيريك فروم يشعر بالقطيعة مع ذاته بل ومع أي شخص آخر.

1-1- العوامل المسببة للاغتراب النفسي لدى الشباب:

و للاغتراب النفسي عدة عوامل وأسباب تلعب دوراً كبيراً في إصابة الفرد به، وتتمثل هذه الأسباب بشكل عام في أسباب نفسية وأخرى اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية حيث نجد:

* **الإحباط:** وهذا راجع لعرقلة الظروف المحيطة لطموحات وأحلام الشاب أو عدم عقلانية هذه الطموحات حيث تصطدم بجدار الواقع و

الإمكانات المادية والذاتية فيشعر الفرد بالإحباط من هذا الفشل مما يفوقه إلى الشعور بالاغتراب.

*** الحرمان:** يعاني الشاب المحروم من انعدام الفرص التي تتيح له تحقيق رغباته وأهدافه، والحرمان له عدة أوجه فقد يكون حرمانا عاطفيا ناتج عن الحرمان من وجود أحد الوالدين أو كلاهما أو الحرمان من عطفهما ودعمهما، أو الحرمان المادي الذي يمنع الشاب من الانطلاق في مشاريعه التي رسمها فيتسبب هذا الحرمان في شعوره بالاغتراب النفسي.

*** خبرات الماضي:** تلعب خبرات الماضي دورا محوريا في تغذية العوامل المحيطة بالشباب والمسببة للاغتراب النفسي في حالة كانت تلك الخبرات صادمة أو سلبية أو يعترئها الفشل، كما أن لهذه الخبرات تأثير على درجة فعاليته وإقدامه أو أحجامه.

*** التنشئة الاجتماعية:** تلعب هذه الأخيرة دورا هاما جدا في شعور الفرد، فأى اضطراب في سياق هذه التنشئة يؤثر بشكل مباشر في التكوين النفسي للفرد، ويحدث أن يتعرض للتغيف داخل الوسط الأسري أو المدرسي مما ينعكس سلبا على شخصيته.

*** التطور التكنو اجتماعي:** وهو أكثر المسببات العصرية لاغتراب الشباب النفسي، فتأثير التطور التكنولوجي قد ألقى بظلاله على مظاهر الحياة في الضفة الأخرى فأصبحنا نرى المدن الذكية و بهرجة الحياة فيها و التطور التقني قد بلغ منتهاه و انعكس ذلك على المستوى المعيشي للمجتمعات هناك ، مما يجعل شبابنا يحلمون باللحظة التي توطئ أقدامهم أرض الأحلام ، و يبقى الشباب في دوامة التناقض بين واقعهم المرفوض و حلمهم في عيش طموحاتهم وأحلامهم كما تصور ها لهم وسائط التواصل التي تنقل الصورة الإيجابية و البراقة فقط عن الحضارة و المعيشة الغربية .

*** الواقع الاقتصادي:** واحد من مسببات الاغتراب النفسي لدى الشباب، حيث تدخل في هذا العامل عديد الأشياء مثل بيئة العمل وسير التنظيم داخلها، تامين الكفاءات والخبرات من عدمها، ضغط العمل وطبيعة الراتب، القدرة الشرائية للفرد ومدى مواكبتها للوضع الاقتصادي

والاجتماعي العام وغيرها من المظاهر التي تؤثر على نفسية الفرد وتجعله عرضة للاغتراب النفسي.

1-2-أبعاد الاغتراب النفسي لدى الشباب:

ويأخذ الاغتراب النفسي لدى الشباب عدة أبعاد وأوجه بحكم أنهم أكثر فئة تتعرض لهذه الحالة النفسية نتيجة لعدة عوامل ومسببات وظروف اجتماعية واقتصادية وثقافية محيطية، ومن أهم مظاهر الاغتراب النفسي لدى الشباب نجد:

* الإحساس بالعجز:

وهو ما يطلق عليه الاقوة ، حيث يشعر الشاب بالعجز وعدم القدرة على السيطرة على سلوكياته من جهة ، وعدم القدرة للإقدام على القيام بعمل أو تحقيق رغبة من جهة أخرى ، كما أنه يصبح عاجزا عن التحكم في مجريات الأمور وسير الأحداث ، حيث تعبر عنه زهران (2004،ص 180) بالقول أنه إحساس الفرد بكون كل ما يقوم به يملأ عليه من الخارج دون قدرته على المقاومة

* العزلة الاجتماعية :

من أبعاد و مظاهر الاغتراب النفسي لدى الشاب هو شعوره بالوحدة والعزلة الاجتماعية و الفراغ في حياته اليومية ، كما أنه يعاني من فقدان الإحساس بالأمان في الأماكن العامة و التجمعات العامة أو حتى الخاصة حيث يشعر بعدم انتماءه لتلك الجماعة أو ذاك المجتمع، ويصاحب هذه العزلة عادة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال و الانزواء في منطقة بعيدة عن التفاعلات اليومية لمجتمعه ، كما أن العزلة الاجتماعية تعني في العموم وجود انفصال وقطيعة بين الشاب وبين قيم المجتمع و معاييرهِ .

* الاغتراب عن الذات :

واحد من أصعب و أخطر أبعاد و مظاهر الاغتراب، ويتمثل في عدة حالات كالاغتراب عن الذات الاجتماعي والذي يتطور مع كل مواجهة يعيشها الشاب مع تحديات الحياة، وهو يشير الى نقص في وعيه الذاتي بمشاعره و أفكاره وانفعالاته أو هويته ككل، كما أنه يعاني من تحكم

بعض الأفكار في تصرفاته كنظرة الآخرين له و ماذا ينتظرون منه ،
فيعيش في دوامة عنوانها ماذا يمكنني أن أفعل لأحقق ما ينتظرونه مني
(مترجم من موقع www.merriam-webster.com)

* الإحساس باللامعنى:

ويقصد به أن الشاب يشعر بعدم الجدوى وأن حياة أصبحت بلا معنى أو
هدف و تسير وفق منطق غير معقول بالنسبة له ، و يرى سيمان (شتان
السيد 1998، ص 27) أن اللامعنى بالنسبة للمغترب يعني توقع الفرد
أنه لن يستطيع أن يتنبأ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية
للسلوك ، فالفرد يشعر بالاغتراب حين لا يكون لديه هدف واضح يؤمن
به وحين لا يستطيع تحديد معنى لما يريد القيام به.

* التمرد عن قيود المجتمع :

التمرد واحد من مظاهر الاغتراب النفسي ويعني في كثير من الأحيان
البعد عن الواقع و الهروب من تحدياته و متطلباته ، كما يعني أيضا
رفض كل القيود المفروضة من المجتمع و التي تسمى عادات و تقاليد ،
فيتحول هذا الرفض تدريجيا إلى كره و تمرد على النفس أولا وعلى
المجتمع ثانيا، فيتخذ الشاب سلوكات منافية لقيم المجتمع و يعتبرها
حرية شخصية غير قابلة للتفاوض أو التنازل أو التغيير.

2-وسائل التواصل الاجتماعي وعلاقتها بالاغتراب النفسي لدى

الشباب:

لقد أدى التطور التكنولوجي المتسارع إلى إحداث تغييرات جذرية في
مختلف نواحي الحياة العامة ، فلم يعد التواصل كالسابق مقتصرا
على الرسائل البريدية أو المكالمات الهاتفية ، ولم تعد المعلومة حكرا
على الإعلام السمعي و البصري أو ما يسمى بالتلفزيون ، فبعد اكتشاف
الشبكة العنكبوتية و اقتحام الأنترنت كل المجالات و ظهور وسائط و
وسائل التواصل الاجتماعي و اكتساحها الساحة الرقمية بشكل رهيب
تحول العالم إلى قرية كونية متصلة ببعضها البعض ، و طغى استعمال
مصطلح العولمة كمرادف لهاته القرية الكونية ، وقد قدم (رولاند

روبرتسون (Roland Robertson) تعريفًا دقيقًا للعولمة من خلال كتابه المعلنون بـ "تخطيط الوضع الكوني : العولمة باعتبارها المفهوم الرئيسي" بقوله أنها تشكيل و بلورة العالم بوصفه موقفاً واحداً و ظهور لحال إنسانية عالمية واحدة تذوب فيها الحدود الاقتصادية و العلمية والمعرفية بين الشعوب ويسود فيها مبدأ الحرية والمشروعية لكل شيء . (بركات، 91، 2001).

إن الهدف المعلن من العولمة هو خدمة البشرية وذلك بتوحيد المصير وإزالة الحواجز الجغرافية ونشر القيم الإنسانية وإتاحة المعلومة للجميع والتمكين للحصول على التكنولوجيا وهذا انطلاقاً من المركز أي من الغرب إلى الشرق أو من الشمال إلى الجنوب (الزغبى، 2006). وعليه فإن تدفق المعلومات يسري باتجاه واحد، فالعولمة الثقافية هي محاولة مجتمع ما أو قوى معينة تعميم نموذجها الثقافي على المجتمعات الأخرى من خلال التأثير على المفاهيم الحضارية والقيم الثقافية و الأنماط السلوكية لدى أفراد هذه المجتمعات ، و تعد وسائل التواصل الاجتماعي من الأسلحة الناعمة والخطيرة في يد العولمة الثقافية والتي تستعملها لبسط الهيمنة الثقافية على العقول و لقد تحولت هذه الوسائل إلى ساحة حرب دولية ، فالصين وأمريكا تتنافسان على السوق الدولية للهواتف الذكية حيث قامت أمريكا بحضر بيع هاتف هواوي كما حاولت حظر و منع تطبيق تيك توك في أمريكا، إذن الملاحظ لهته الحرب يدرك حجم خطورة هذه الوسائط التكنولوجية.

وتعرف وسائل التواصل الاجتماعي بكونها شبكات اجتماعية تفاعلية تتيح لمستخدميها التواصل في أي وقت وظرف ومكان يريدونه، ولأن الشباب كما أسلفنا الذكر هم أكثر استخداماً لهته الوسائل وبالتالي أكثر عرضه لآثارها وتأثيراتها فإنهم يبحثون عن أي جديد بخصوصها، فنسبة الانخراط فيها تفوق ملياري إنسان على سطح الأرض فمنصة فيسبوك وحدها تحتوي على أكثر من مليار مشترك ناهيك عن منصة أنستغرام ، وغيرها من المنصات الرقمية التي ربطت عقول الناس بها فأصبحت الأغلبية تعيش إدماناً من نوع خاص وهو الإدمان الرقمي، فالتغيرات المحيطة بالشباب سواء كانت تغيرات اجتماعية أو سياسية أو

اقتصادية تؤثر في المعيار القيمي لديه فتضطرب هويته و قيمه وأهدافه و المعايير التي يتبناها في تقييمه و تخطيطه لأهدافه، طموحاته وأحلامه فتتسأ لديه أعراض الاغتراب عن واقعه وعن ذاته وهو ما يظهر جليا في تصرفاته وعدوانيته غير المبررة أو عزلته اجتماعيا و إحساسه بالعجز و الإحباط بالإضافة إلى انتهاج سلوكات الرفض لتقبل الأمر الواقع والتمرد على قيم مجتمعه في كثير من الأحيان ، فالإحساس بأنه كشاب يستحق الأفضل ويستحق أن يعيش حياة الرفاهية و الحرية و التقدير يجعله ضحية لهته المواقع التي لا تنقل سوى الجانب البراق و الإيجابي للحضارة الغربية.

ومن التأثيرات السلبية لمواقع التواصل الاجتماعي على الشباب والتي تؤدي به إلى الانفصال عن مجتمعه وعن ذاته في كثير من الأحيان واحساسه بالاغتراب النفسي نجد:

* تفضيل العالم الافتراضي على الواقع الحقيقي لما يقدمه هذا العالم من الشعور بالارتياح والنشوة وإتاحة الفرص للتعبير عما يختلجه من أفكار ومشاعر دون قيود أو رقابة.

* فقدان التفاعل والتواصل الحقيقي مع الآخرين، مما يجعل الشاب يعيش عزلة لا يكتشفها إلا بعد اضطراره للخروج إلى الحياة العادية.

* خلق عالم خيالي في مخيلة الشاب وتصديقه لتلك التخييلات فيغرق فيها دون أن يتمكن من التخلص منها، فيتقمص شخصية خيالية افتراضية لا ترتبط به إطلاقا ويعيش الدور بشكل خطير، ولكن بمجرد حدوث انقطاع لسبب أو لآخر عن عالمه الخيالي يعجز في العودة إلى شخصيته الحقيقية ويفشل في إقناع محيطه بشخصيته الافتراضية لأنها من وحي خياله فيصاب بهذا الاضطراب الذي يلزمه مالم يبحث هو أو عائلته عن علاج له.

* إهدار الوقت، فالوقت ثمين جدا وإهداره على وسائل التواصل الاجتماعي يشكل خطورة على الشاب فجسديا قد يصاب بأمراض العمود الفقري، أما نفسيا فالغربة النفسية ستصبح ملازمة له دون الحديث عن البطالة التي قد يتسبب فيها هذا الإهدار، فمدمن مواقع التواصل لن يجد الوقت أو الرغبة للعمل مما يجعله يشعر بالدونية

والعجز واللامعنى داخل مجتمعه الحقيقي، كما أن علاقاته الاجتماعية سواء الأسرية أو العامة ستتأثر بهذا الإدمان، فقد شهدت المحاكم حالات طلاق كثيرة جدا بسبب هذه المواقع.

ومن خطورة الاغتراب النفسي لدى الشباب أن أعراضه قد لا تظهر للمحيطين به، كما أنه شخصيا قد لا يعترف بمعاناته ولا يعترف أصلا بأنه يعيش حالة نفسية قد تشكل خطورة على صحته النفسية والعقلية إلا أن أعراضه تنعكس على تصرفاته وتفكيره الذي يبدأ بالتركيز على الهجرة كحل نهائي لتحقيق أحلامه التي لم يستطع تحقيقها في بيئته المحلية، ولأن الإمكانات المادية لا تسمح له بالهجرة القانونية يتخذ قرارا صعبا بل وخطيرا وهو الهجرة غير الشرعية للصفة الأخرى على أمل الحصول على حياة أفضل.

3-ظاهرة الهجرة غير الشرعية كمظهر هام وخطير من مظاهر

الاغتراب النفسي لدى الشباب الجزائري:

لقد قدم المكتب الدولي للعمل تعريفا لظاهرة الهجرة غير الشرعية أو السرية حيث عرفها بأنها تلك الهجرة التي يخالف فيها المهاجرون الشروط التي تحددها الاتفاقيات الدولية و القوانين الوطنية (صايش 2011)

ويعتبر مهاجرا غير شرعي كل فرد دخل بلادا أو غادرها سوأ عبر المنافذ البرية أو البحرية باستخدام مختلف اوسائل النقل (واثق عبد الكريم حمود) كما أن الاتفاقية الدولية لحماية حقوق العمال المهاجرين و عائلاتهم المنبثقة عن الجمعية العامة المنعقدة بتاريخ 18 ديسمبر 1990 عرفت المهاجرين غير الشرعيين بشكل عام بأنهم الأشخاص الذين يعملون أو سيعملون أو قد عملوا في نشاط مأجور في دولة غير دولتهم ، فالمهاجر غير الشرعي هو كل شخص دخل أو يقيم أو يقوم بنشاط مأجور في إقليم غير دولته و لا تكون بحوزته الوثائق اللازمة لدخول تلك الدولة و الإقامة فيها ولا الوثائق اللازمة للعمل فيها (ساعد 2012) .

وتتعدد العوامل المسببة للهجرة غير الشرعية، فالتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتسارعة دوليا ومحليا ساهمت في ارتفاع نسبة المهاجرين غير الشرعيين نحو أوروبا وهي الوجهة الأكثر طلبا

لأنها كقارة تتوسط قارتي إفريقيا وآسيا وهما القارتان اللتان تشهدان انتشار مسببات هذه الهجرة كالحروب سواء كانت مع دول أخرى أو حروب أهلية كما حدث في مالي والنيجر وليبيا وأفغانستان وسوريا، أو الأوضاع الاقتصادية المضطربة.

وبالرجوع إلى الواقع الجزائري فإن المشرع عرفها بأنها مغادرة الإقليم الوطني بصفة غير شرعية أثناء اجتيازه أحد مراكز الحدود البرية أو البحرية أو الجوية وذلك بانتحاله هوية أو باستعماله وثائق مزورة أو أية وسيلة أخرى للتملص من تقديم الوثائق الرسمية اللازمة (قانون العقوبات الجزائري 01/09 الجريدة الرسمية العدد 15 الصادرة ب 08 مارس 2009).

والممتنع لتطور الهجرة غير الشرعية في الجزائر يلاحظ أنها قد تنامت بشكل متسارع وكبير في العشرية الأخيرة مقارنة بالسنوات السابقة، كما أنها بعد أن كانت تقتصر على الشباب أصبحت تجمع بين الشباب من الذكور والإناث بل وأصبحت عائلات بأكملها تركب ما يسمى بقوارب الموت بحثا عن حياة أخرى في الضفة الغربية والتحق الأطفال في سن المراهقة أيضا بهذه الظاهرة، فأصبحنا نشاهد للأسف صورا مؤلمة عن أطفال في مراكز الهجرة غير الشرعية بإسبانيا وإيطاليا. فالإحصائيات تقول بأن مئات الأشخاص يهاجرون سنويا في قوارب البحر نحو قارة أوروبا وأن الشباب هم الفئة الغالبة لهؤلاء المهاجرين، كما أن نسبة معتبرة منهم تتعرض للموت في البحر نتيجة تعطل القوارب، أو نتيجة سوء الأحوال الجوية أو أسباب أخرى. والجزائر تعتبر نقطة محورية في الهجرة غير الشرعية للقارة الإفريقية، فقد شهدت في السنوات الأخيرة موجات هجرة كبيرة قادمة من دول الساحل نتيجة الحروب والافتتال الذي حدث في تلك البلدان، ولأن الجزائر تحترم المواثيق الدولية فقد عملت جاهدة لاستقبال اللاجئين أو المهاجرين غير الشرعيين، إلا أن نسبة كبيرة منهم اعتبرت الجزائر نقطة انطلاق نحو الضفة الأخرى، فنشطت بذلك شبكات التهريب على نطاق واسع وشملت مختلف الشريط الساحلي.

وبتتبع المنشورات التي تطلق في مواقع التواصل الاجتماعي من طرف الشباب الجزائري الراغب في الهجرة نحو الضفة الأخرى أين توجد حسب حياة الرفاهية والعمل المحترم و الراتب الجيد و الحرية المطلقة فإننا نلاحظ أنه يعيش اغترابا نفسيا داخل مجتمعه و يعيش تناقضا بينه وبين ذاته ، فالعمل الذي كان يرفضه داخل الوطن بحجة أنه أقل من مستواه الدراسي أو أنه لا يتناسب وطموحاته أو يخجل أن يراه أحد معارفه يقوم به يقبله بصدر رحب بل و يتفاخر به حين ينجح في الوصول إلى أوروبا وهذا يدل على وجود تناقضات في تفكيره، و أن ما دفعه للهجرة غير الشرعية ليس واقعه المحلي بقدر ما هو تأثيره بالصورة البراقة للعالم الغربي والتي نجحت وسائل التواصل الاجتماعي في تسويقها له على شكل ثقافة معلبة جاهزة للاستهلاك و التقمص بدون أدنى مقاومة ، فالهجرة غير الشرعية مغامرة غير محسوبة العواقب ويمكن اعتبارها انتحارا غير مباشر لأنها تجعل الفرد يغامر بحياته دون التأكد من النتائج النهائية .

لقد تنامي خطر الهجرة غير الشرعية لأنها أصبحت تستنزف الكفاءات الشابة في الجزائر فقد التحق بقوارب الهجرة الشباب الجامعي وحتى الموظفون وهذا أملا في واقع ومستقبل أفضل مما هو عليه في بلادهم، فالاغتراب النفسي لدى هؤلاء يلعب دورا هاما في تزايد رغبتهم في اتخاذ الهجرة كوسيلة أخيرة لتحقيق ذواتهم.

إن المتعارف عليه أنه كلما تعمقت عاطفة الارتباط بالعائلة والوطن صعب على الفرد اتخاذ قرار الهجرة مهما كان نوعها سواء شرعية أو غير الشرعية، وعليه فإن قرار الهجرة غير الشرعية للشباب الجزائري يدل على فك الارتباط بالوطن والعائلة من جهة ويدل على وصول الشاب المهاجر إلى مستويات متدنية من الثقة بمحيطه في توفير أبسط حاجياته واحساسه بالاغتراب النفسي العميق من جهة أخرى.

ولمواقع التواصل تأثير كبير على اتخاذ الشباب لقرار الهجرة والمغامرة بحياتهم في سبيل تحقيق أحلام لن يحققها أغلبهم، فانتشار المجموعات الخاصة التي تدعم الهجرة غير الشرعية بات أمرا لاقتنا للانتباه على وسائل التواصل الاجتماعي، فهناك صفحات تنشر دوريا

رحلات الهجرة للشباب الجزائري و تتابع أخبارهم إلى غاية وصولهم للصفة الأوروبية، ثم تعلن عن الاحتفالات في الأحياء الشعبية التي انطلقوا منها وهذا ما يشجع بقية الشباب خاصة المراهقين على ولوج هذا العالم دون لتفكير في المآلات والنتائج و حتى دون التفكير في مشاعر القهر والحزن التي قد يتسبب فيها قرارهم هذا على الصعيد العائلي .

لقد جرمت الجزائر الهجرة غير الشرعية من خلال القانون 02/16 المؤرخ في 19 جوان 2016 وقد جاء في نص المادة 175 مكرر يعاقب بالحبس من شهرين الى ستة أشهر وبغرامة من 20000 الى 60000 دج أو بإحدى هاتين العقوبتين كل جزائري أو أجنبي مقيم يغادر الإقليم الوطني بصفة غير شرعية أثناء اجتيازه أحد مراكز الحدود، فالمشرع الجزائري قد جرم هذا الفعل مهما كانت أسبابه ومسبباته، كما أنه شدد العقوبة على كل من يقوم بتهريب أو مساعدة المهاجر على مغادرة التراب الوطني بطريقة غير قانونية.

الخلاصة:

إذا كانت للعولمة الثقافية من أسلحة خطيرة تحارب بها العقول وتستحوذ عليها فإن مواقع التواصل الاجتماعي أشد هذه الأسلحة فتكا، فهي تحدد بدقة أهدافها وضحاياها وهي سهلة الاختراق وناعمة العدوان ، لن تشعر بنتائجها الكارثية إلا حين تتجلى تداعياتها على السطح ، والاعتراب النفسي واحد من هذه النتائج التي تمس بشكل كبير الشباب غير المتحصن من مخاطرها، فلا يمكن أن ننكر النتائج الإيجابية لهذه المواقع من تقريب الرؤى ونشر القضايا العادلة والتعريف بها كالقضية الفلسطينية وكشف ألاعيب القوى الكبرى في محاولتها للهيمنة على بقية الشعوب، لكن للأسف هناك فئة عاشت ظروفًا مضطربة سواء على الصعيد النفسي أو العائلي أو المجتمعي ساهمت بشكل كبير في نجاح هته المواقع في التأثير على طريقة تفكيرها، وما الهجرة غير الشرعية إلى نتيجة من نتائج هذا الاعتراب، ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاعتماد على قانون العقوبات في معالجة هذه الظاهرة، فالشباب

الجزائري الذي ركب قوارب الموت لا يمكن منعه وصده بالحبس فهذا إجراء يفاقم احساسه بالاغتراب النفسي وقد يتحول هذا الاغتراب إلى انتقام من المجتمع فيخرج الشاب وكله كره لمجتمعه و واقعه و ظروفه فيصر على الهجرة هربا من الظلم كما يراه هو، أو يتحول إلى عالم الجريمة كسلوك تعبيرى عن رفضه لسياسة العقاب المنتهجة ضده فهو يرى نفسه ضحية واقع سياسي فشل في توفير الحياة الكريمة له كما يراها في الدول الأوروبية، ولذلك فعلى المشرع الجزائري والنظام السياسي البحث عن المسببات الحقيقية لهذه الأفكار ومعالجتها من أجل تغيير طريقة تفكير الشباب الذي هو مصدر الثروة البشرية للدولة والحد من مظاهر الهجرة خاصة وأن أغلبية الأدمغة المهاجرة في الجزائر قد انخرطت في فكرة الهجرة التي كانت بسبب بحثها عن واقع أفضل ومناخ عمل أفضل وتقدير أكبر .

قائمة المراجع:

- شخت ريتشارد : الاغتراب ترجمة حسين كامل المؤسسة للدراسات والنشر بيروت، 1980
- سعد المغربي: الاغتراب في حياة الإنسان، الكتاب السنوي الثالث للجمعية المصرية للدراسات النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993.
- خليفة عبد اللطيف: دراسات في سيكولوجية الاغتراب دار غريب مصر 2003
- الصنعاني عبد سعيد، العلاقة بين الاغتراب النفسي واساليب المعاملة الوالدية لدى التلاميذ المعاقين سمعيا في المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة تعز اليمن 2009.
- عفاف عبد المنعم: دراسة الاغتراب في علاقته بكل من الذكاء والمستوى الاجتماعي والاقتصادي لعينة مختارة من الشباب الجامعي، مجلة كلية التربية، اسوان مصر العدد 5
- زهران سناء أحمد: إرساء الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب، الطبعة الأولى، دار علم الكتب، القاهرة 2004

- علي شتانا السيد: نظرية الاغتراب من المنظور علم الاجتماع، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، السعودية 1998
- بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة، رؤية نقدية، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، 2001
- الزعبي محمد مصلح: العولمة الثقافية وأثرها على الوطن العربي، جامعة آل البيت، مجلة الدراسات الفقهية والقانونية، الاردن، 2006
- صايش عبد المالك: مكافحة الهجرة غير الشرعية، نظرة على القانون 01/09 المتضمن تعديل قانون العقوبات، المجلة الأكاديمية للبحث القانوني، عدد 1 جامعة بجاية، الجزائر. 2011
- واتق عبد الكريم حمود: موقف الاتحاد الاوروبي من ظاهرة الهجرة غير الشرعية الافريقية مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية -ساعد رشيد: واقع الهجرة غير الشرعية في الجزائر من منظور الامن الانساني، رسالة ماجستير جامعة محمد خيضر بسكرة كلية العلوم السياسية، 2012.
- قانون العقوبات الجزائري 01/09 الجريدة الرسمية العدد 15 الصادرة بـ 08 مارس 2009.

www.merriam-webster.com